AL ISLAMI 18/5/2012 5/17/12 11:57 PM Page 2



# ترتيب القيم في القرآن والسنة وآثاره في التغيير والتحويل

بقلم: أ.د. إبراهيم محمد سالم أبو محمد *

برغم أن الرسالة بدأت بين أمين وتلقاها نبي أمي، فإن العقل المسلم في عصوره الأولى تفاعل مع الرسالة تفاعل التلميذ النابه مع الأستاذ القدير، ومن ثم ارتبطت حياته بالوحي تعليمًا وتعظيمًا وتطبيقًا، وتربى على مائدة القرآن وتلقى من النبي العظيم، وارتبط وعيه بالنبع الصافي، وكانت القدوة في حياته بغير منافس أو شريك، وكل هذه المؤثرات ولّدت لديه ملكة التنظيم الدقيق والرؤية الفاحصة والإدراك الواعي، فوضع كل قيمة في مكانها من حيث الحجم والمكانة والأولولية، ولذلك كانت النتائج مذهلة ورائعة، وحدث التغيير الذي يشبه المعجزة في التصور والفكر والسلوك، ورأت الدنيا إنسانها المنشود والمأمول، وقفز المسلمون بعد التخلف والتمزق والضياع إلى صدارة العالم، وقدموا نموذجًا حضاريًا قلّ نظيره حتى هذه اللحظة، ووقف التاريخ مزهوا بعصر الرسالة ليعلن على الدنيا اكتشافه لحقائق جديدة حول الإنسان والتغيير والإقلاع الحضاري.

وفي هذا المقال سنعرض لترتيب منظومة القيم، وكيف أحدث هذا الترتيب آثاره وثماره الطيبة، في التغيير والتحويل.

ترتيب منظومة القيم في القرآن والسنة

يلحظ الباحثون أن القرآن الكريم عندما تحدث عن قواعد الإسلام وقواعد الإيمان وحتى عن الأعمال ربتها ترتيبا يناسب الحجم والتأثير والأهمية، وكذلك سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وهنا نحاول التعرف معًا على ترتيب هذه القيم من خلال الوحيين القرآن والسنة، وفي كتاب الله شرح وتفصيل.

قال تعالى: (لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) [البقرة: ١٢٧].

ففي الآيات ترتيب لمنظومة القيم الأساسية التي تشكل القواعد والأصول حسب حجمها من التشريع وتأثيرها في التكوين العقلي للمسلم.

ونموذج آخر يقول الله فيه:

(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) [الجمعة: ٩].

ونموذج ثالث، يقول الله فيه:

(أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [التوبة: ١٩].

ومن سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نكتفي بما رواه مسلم في صحيحه قال: «حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ عبدالله بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ)» (رواه مسلم).

بعد قراءة النصوص السابقة والتأمل في معانيها نستطيع أن نؤكد أننا أصبحنا في حاجة ماسة إلى إعادة النظر في ترتيب قيمنا العظيمة؛ لتأخذ كل قيمة دورها في عملية النهوض، وسنحاول أن نضع تصورًا لقائمة بترتيب هذه القيم حسب أولوياتها وحسب دورها وتأثيرها الفاعل، كما نستطيع بتواضع أن نقسمها بإجمال إلى أنواع أساسية أربعة هي كالتالي:

١- قيم السيادة أو القيم السيادية
٢- قيم الحركة أو القيم الدافعة
٣- قيم الشكل أو الإطار العام
٤- قيم التراجع والتخلف

كما أن كل نوع من هذه المجموعة يتبعه قيم أخرى مساعدة، ومن ثم سيكون تركيزنا هنا على القيم الأساسية، مع الإشارة إذا لزم الأمر إلى القيم المساعدة أو القيم التابعة في التقسيم للقيم الأساسية، في مقدمتها ما يلي:

قيم السيادة

نعني بقيم السيادة مجموعة القيم التي تشكل الضمانات لبقاء الأمة داخل الدائرة الإسلامية ولبقاء أفرادها على خط الإسلام الصحيح المستقيم، وهي قيم قليلة في عددها، ولكنها تعبر عن الهوية الفكرية والعقدية والثقافية والشعورية لهذه الأمة، وهي بلا شك تشكل الثوابت في الأصول العقدية، وتشمل: أركان الإسلام، وأركان الإيمان، والفرائض الركنية كالصلاة والصيام والزكاة والحج.

وتتحقق مجموعة تلك القيم في أركان الإسلام الخمسة وأركان الإيمان الستة.

وتؤدي هذه القيم وظيفة حيوية في احتفاظ الأمة برصيدها من ميراث النبوة بشكل عملي تطبيقي، كما أنها تستبقي في المجتمع الصبغة الربانية للشريعة التي أرادها الله له، واختارها؛ لتكون المنهج الذي يحكم ويوجه حركة الحياة في شتى ميادينها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية، ومن مجموع هذه القيم يتحدد المنهج والإطار التربوي الذي يصاغ من خلاله عقلية الأجيال ويصنع عبر وسائله وآلياته الرأي العام.

وما لم يكن لتلك القيم مكان السيادة والصدارة والأولوية، فإن المجتمع يصاب بحالات التميع وفقدان الهوية والتمزق وضياع الوحدة الشعورية، ومن ثم يكون عرضة للتآكل الذاتي من داخله والاختراق والسيطرة من الخارج، ويحل محل منظومتنا القيمية قيم أخرى مختلة ووافدة، يفرضها الغريب الذي احتل الأفكار والعقول والقلوب قبل احتلال الأوطان والديار والأرض.

وإن شئت قل: هي منظومة نعني بها مجموعة القيم التي يجب أن تكون لها السيادة والأولوية المطلقة على كل القيم الأخرى، وبها تعرف هوية الأفراد وهوية المجتمع، وتتحدد قسماته وملامحه العامة.

وهذه تشمل قواعد وأصول الإيمان، فهي قيم لا يقوم مجتمع مسلم بغيرها، وفي صدارة هذه المجموعة «التوحيد، والعدل، والحرية».

وهناك قيم أخرى تابعة لهذه الأصول الثلاثة تعمل في ظلها، وتأخذ امتدادها في ساحات المجتمع وفي سلوك أفراده، وتغطي ميادين كثيرة، وتضبط سلوكيات العامة والخاصة، بقواعد من الأخلاق والضبط الإرادي، والذي تعجز كل شبكات القانون الوضعي عن تحقيقها أو الوصول إلى مستواها.

أما قيم الحركة فهي مجموعة القيم الدافعة التي تحدث في المجتمع حالة من الحراك على كل الأصعدة، فكريًا وثقافيًا واجتماعيًا واقتصاديًا، وتخلص المجتمع المسلم من حالات الركود والتخلف؛ لتحوله إلى مجتمع يموج بالحياة والحركة وتدفع به نحو التطور والنمو بشكل دائم، وبها يستطيع أن يستقل في إرادته بعد أن يكتفي في ضروراته وحاجاته وحتى تحسيناته. وفي مقدمة مجموعة قيم الحركة «القيم الفكرية والشعورية» التي تساعد المرء على التفكير الصحيح، وتضع له القواعد التي يتعلم من خلالها، والأولويات التي يجب أن يعمل في ظلها ليحمي جهوده العلمية والثقافية والعملية من الشرود والضياع.

أما قيم الشكل أو الإطار العام فهي مجموعة القيم التي تتصل بهيئة الأفراد وطريقة عيشهم، ويدخل فيها العادات والتقاليد وما يسود في الأمة مما تعارف الناس عليه في حياتهم، ومهمة قيم الشكل هنا أنها تحدد الإطار العام الذي يجب ويراعى فيه أن تكون حياة الناس موافقة لما ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في طعامهم وشرابهم ومسكنهم وغير ذلك من الأمور.

وأما قيم التراجع والتخلف فهي مجموعة القيم السلبية التي تسيطر على عقول أبناء الأمة عند اضطراب الأمور واختلاط المفاهيم وغياب القيادة الفقهية والفكرية الواعية. ومن ثم يشتغل العامة بتوافه الأمور وتبدد جهود الشباب حول الخلافات في قضايا فرعية، يكبر فيها الصغير ويصغر فيها الكبير وتغفل القضايا المفصلية في حياتنا، وتختل موازين القيم في الناس والأشياء. وسنتحدث عن تفصيل هذه القيم في المقال التالي بإذن الله تعالى.

* رئيس المؤسسة الأسترالية للثقافة الإسلامية ؟ رئيس إذاعة القرآن الكريم في أستراليا

# «ولا تنسوا الفضل بينكم»، حتى يعم الخير والسلام والمحبة بيننا

بقلم: أ. د. أمين عبداللطيف المليجي

كتبت في مقالة ماضية عن امر الله لنا بألا نتخذ الشيطان عدوا، وقد أمرنا الحق ان نقول أحسن القول اذا وقع الخلاف بيننا، حتى لا تقع العداوة بيننا، ويسود بيننا الخير والسلام، وختمت مقالي بقول الحق «وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» (البقرة: ٢٣٧).

فهذه الآية الكريمة ارى أنها تدعو إلى نبذ الخلاف، وتدعونا إلى تذكر الفضل الذي بيننا، اذا وقع الخلاف، فذكر الفضل والحسن من القول، كفيل بإخماد نار الخلاف بيننا، وكثيرا ما نذكر بعضنا بعضا، بأننا كم عشنا معا، وكم تزاورنا، وكم اكلنا وشربنا سويا، اتذكر يوم ان كنا كذا وكذا؟ ونعدد ما كان من الأيام الجميلة، ساعتها تصفو النفوس، ويذهب الشيطان بعيدا، فتذهب معه العداوة والبغضاء، ومن العجيب ان قول الحق سبحانه ورد في آية من سورة (البقرة) تتحدث عن الطلاق، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: «وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوٓا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» (البقرة: ٢٣٧)، كأن الله سبحانه وتعالى يريد أن يذكر الزوجين بما كان بينهما من فضل، وما كان بينهما من افعال طيبة، فهما قد عاشا معا ايامًا جميلة، تعرفا إلى بعضهما فيها قبل الزواج وبعده، وكان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قد أمر بأن ينظر الخاطب إلى من سيخطبها، وكذلك ان تنظر اليه، حتى يؤدم بينهما، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا خَطَبَ أَحَدُكُمُ الْمَرْأَةَ فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْظُرَ مِنْهَا إِلَى مَا يَدْعُوهُ إِلَى نِكَاحِهَا فَلْيَفْعَلْ، فإن ذلك أحرى إلى أن يؤدم بينهما) (أخرجه الإمام أحمد في مسنده، وأبوداود في سننه ؟ كتاب النكاح، والحاكم في المستدرك بإسناد حسن) وصححه الحاكم من حديث جابر ؟ رضي الله عنه.

وروى أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة عَنْ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ ؟ رضي الله عنه ؟ أنه خطب امرأة فقال النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (انْظُرْ إِلَيْهَا فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا فَفَعَلَ) (حديث صحيح).

وهكذا فان الدعوة إلى ان ينظر المقبلون على الزواج إلى بعضهم، مقدمة لأن تنشأ المودة بينهم، التي يبنى عليها الزواج بعد ذلك، فيصمد امام أي ريح عاتية، ربما تعصف بالزواج، وانا أرى ان من أشد العداوة تلك التي تقع بين الأزواج، لأنها تؤدي إلى هدم لبنات المجتمع، وتصدعه بالطلاق بين الأزواج، فينتج عن ذلك تشريد الأبناء، فلا يكونون اعضاء صالحين فيه، وقد قيل ان الشيطان لا يفرح فرحا شديدا الا اذا وقع الخلاف بين الأزواج، ويا حبذا لو تطور إلى الطلاق، فان من يفعل ذلك من الشياطين، سواء يكون من شياطين الإنس أو الجن، يكون من المقربين إلى الشيطان، فبئس القرب وبئس القرين، وبالتالي فان تذكر الفضل بيننا شيء مهم في إعادة ما انهدم من علاقة بين الناس، والفضل شيء جميل وعظيم، من يكون عليه فقد نال الخير الكثير.

وقد أورد الشيخ الشعراوي رحمه الله في خواطره حول هذه الآية الكريمة قصة لطيفة: ذهب اثنان إلى رجل ليحكم بينهما فقالا: احكم بيننا بالعدل، قال: أتحبان أن أحكم بينكما بالعدل؟ أم بما هو خير من العدل؟ فقالا: وهل يوجد خير من العدل؟ قال: نعم، الفضل. ثم يكمل الشيخ الشعراوي بقوله: ان العدل يعطي كل ذي حق حقه، ولكن الفضل يجعل صاحب الحق يتنازل عن حقه أو بعض حقه.

اذًا فالتشريع حين يضع موازين العدل لا يريد أن يحرم النبع الايماني من أريحية الفضل، فهو يعطيك العدل، ولكنه سبحانه وتعالى يقول «ولا تنسوا الفضل بينكم»، فالعدل وحده قد يكون شاقا وتبقى البغضاء في النفوس، ولكن الفضل ينهي المشاحنة، والمخاصمة والبغضاء (انتهى).

سبحان الله، كأنه سبحانه يأمرنا بما هو أكثر من العدل، يأمرنا بفعل الزيادة وهو الفضل، لأن الكلمة في حد ذاتها تدل على ما يفيض من الشيء، هب أن عندك فائضا من شيء ما، طعام أو شراب، فعندما تعطي هذه الزيادة تكون نفسك راضية، وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في معنى الحديث (خير الصدقة ما كانت عن ظهر غنى)، أما لو كان الانسان في حاجة، فلا يقبل على العطاء بقوة، وهذا طبعا ليس تعميما، لأن من الناس من يكون في حاجة وتراه يعطي عطاء السخي، وكذلك ترى من الناس من يكون في حاجة، فتراه متعففا عن السؤال، ولا يسأل الناس الحافا، وقد ذكرهم الحق في كتابه الكريم «لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ» (البقرة-٢٧٣).

وقد حذر الرسول ايضا الذين يسألون الناس وهم ليسوا في حاجة، بل اتخذوا هذا الأمر حرفة لهم، ويسألون الناس استكثارا، فقال صلى الله عليه وسلم (لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله تعالى وليس في وجهه مُزعة لحم) (رواه البخاري في صحيحه).

وهكذا، فاننا نجد أن الفضل في كل شيء عظيم، فمن تفضل على الناس بالعفو، فقد وصلهم بالخير، ومن تفضل على من يحتاجون بالعطاء، فقد عفهم عن السؤال، ومن تفضل على الناس بأي شيء هم في حاجة اليه، فقد نشر المحبة بينهم، والأمر ليس فيه مثالية، ربما يقف عندها الناس ويقولون: نحن بشر، ولابد من العذر لنا، نعم نحن بشر، ويجب أن يعذر بعضنا بعضا، ويجب أن نتفهم أفعال بعضنا، ولكن أليس من الحكمة أن نحاول البعد عن كل ما يزيد من الوقيعة والقطيعة بيننا، ويكون حالنا كما أمرنا ربنا، بأن نتذكر الفضل بيننا؟

فاللهم اجعلنا ممن يعفون عن الناس، وممن يحبون الخير للناس، وممن لا ينسون الفضل، حتى يعم الخير والسلام.

## من وحي الإسلام

# فن العمارة الإسلامية تجسيد لكل المفاهيم (١)

إعداد: يوسف الملا

عبرت الشعوب عن نفسها في الفترات التاريخية المختلفة، من خلال نشاطاتها الحضارية في الفنون والآداب والعلوم بمختلف أنواعها، وظل الفن العمراني من أغلى الدلالات على تقدم الشعوب ورقيها، وإذا كانت الحضارة هي نتاج شعب أو أمة ما، في مختلف مجالات الحياة فإن الفن المعماري تجسيد لكل المفاهيم، واختزال للقيم والمعتقدات والثقافات الخاصة بأي حضارة.

* البناء العمراني يعبر عن فكر وفلسفة:

لم تكن الأهرام المصرية مثالا عن مجال التصميم واعجاز الانشاء فحسب، وانما قبل كل شيء هي بناء يعبر عن فكر وفلسفة الخلود لدى الفراعنة والشعوب المصرية القديمة، وكذلك اقامة الزقورات iggurats» أي الأبراج في بلاد الرافدين هي هياكل انشائية تحوي في مناسيبها العلوية معابد صغيرة تمثل منازل للآلهة، ويعبر ارتفاعها عن الارتقاء نحو السماء كمنازل للآلهة عندهم، والأمر ينطبق على المعابد والأوابد اليونانية والرومانية والبيزنطية، وكل حضارة تعبر حسب معتقداتها وفلسفتها الخاصة بها، وصولا إلى ناطحات السحاب التي تعبر عن سلطة الثروة والاقتصاد الحر على كل ما حوله.

إن المضمون الديني بما استطاع الاسلام عمله بما ملك من فكر انساني ان ينتشر على رقعة واسعة تمتد من الصين شرقا حتى تخوم فرنسا غربا، انتجت الحضارة الاسلامية شخصية متكاملة في العمارة والفنون والانسانية وتخطيط المدن لها خصائصها التي تميزت عن غيرها من الحضارات في كل بقعة من بقاع العالم التي انتشر فيها الاسلام.

واتصف الفن المعماري والعمراني الاسلامي باستيعابه مختلف المدارس التي سبقته كافة، والتي كانت سائدة في آسيا الغربية فحاورها طالب علم وفن، وتعلم منها ونهل من تراثها، ثم اصبح المعلم القدير، فصاغ ما أخذه بأسلوبه الخاص، واستطاع في مائة عام ان يبلور هذه الشخصية الفنية، وهذه الهوية الخاصة، اللتين تميزت بهما الحضارة الاسلامية.

* المدارس التي تميزت بها الحضارة الاسلامية:

تجاوز الاسلام حدود الجزيرة العربية منتشرا في المناطق التي كانت خاضعة لسيادة الامبراطوريتين البيزنطية والفارسية، وكانت مسرحا لأعتى الحضارات وأكثرها رقيا، ومن ثم ورث عن هاتين الامبراطوريتين تقاليدهما وانماطهما العمرانية التي كانت اصلا ممتزجة بالتقاليد (TRADITIONS) الفنية المحلية لمناطق نفوذهما، وكانت تسودها المدارس المعمارية الفنية التالية:

١- المدرسة البيزنطية أو المسيحية الشرقية:

كانت منتشرة في آسيا الصغرى (تركيا) وسوريا وفلسطين وشرق الأردن، وقد وقعت هذه المنطقة تحت التأثير الكلاسيكي نحو ألف عام منذ عهد الاسكندر الأكبر حتى الفتح الاسلامي، وتأثرت بالموجات الهلنستية.

٢- المدرسة الفارسية في العراق وفارس:

تأثرت هذه المدرسة بالفنون المعمارية والزخرفية المقتبسة عن المدرسة الرافدية التي كانت سائدة في الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد.

٣- المدرسة القبطية:

كانت منتشرة في مصر، وهي وريثة المدرسة المصرية القديمة العريقة التي تجاوزت تأثيراتها الحدود المصرية.

× تنوع التعبير المعماري في المدرسة الاسلامية:

استفاد العرب المسلمون من التقانات والانماط التقليدية التي كانت سائدة في البلاد التي فتحوها في تشييد المباني والمنشآت، وذلك في الفترة الأولى من المدرسة الاسلامية، ثم ما لبثت ان تبلورت مدرسة فنية متكاملة تحمل هوية متجانسة على البلاد الاسلامية قاطبة، وصار من الصعب معرفة الاصول المقتبسة منها، فتميزت عن غيرها من المدارس، ومرد ذلك إلى عوامل مختلفة منها: العامل الديني وهو اهم العوامل في احتفاء الصبغة الاسلامية التي هي خلاصة للفكر والعقيدة الاسلاميين على الابنية الدينية والمدنية لعمارة المساجد والجوامع وفق نظام وتخطيط معينين يلبيان الحاجة الوظيفية وتأدية الصلاة.

والعامل الآخر هو العامل الجغرافي وتشابه المناخ النسبي في اقليم الاسلام حيث غلب المناخان الصحراوي والمتوسطي لذلك تشابه النسيج العمراني في تخطيط المدن، وهو ما عرف بالنسيج (المتراص او العفوي)، وفي المجال المعماري اتصفت العمارة بالتصميم البيئي وذلك بانغلاق المباني من الخارج وانفتاحها من الداخل وحول باحة مكشوفة حيث الهواء الطلق والماء والفضاء والنباتات.

كما تميزت العمارة الاسلامية بغنى مفرداتها واهتمامها بالنواحي الحياتية جميعها، فظهرت المباني الدينية في مساجد ومدارس وتكايا ومدافن وزوايا وخانقاهات ودور المتصوفة وابنية القصور والبيمارستانات المشافي والخانات لاستراحة المسافرين والحمامات والاسواق، والاهتمام بالحدائق والاسبلة المائية على صعيد تخطيط المدن والعمائر العسكرية وبناء القلاع والابراج والاربطة والقلاع الدفاعية.

ولم يقتصر غنى العمارة الاسلامية على تنوع ماهيات الابنية وموضوعاتها، بل تميزت بغنى مفرداتها وعناصرها، ومن هذه العناصر القباب والقبوات والعقود بمختلف اشكالها كأنصاف الدائرية و«المدببة» والحدوية والمفصصة والاقواس والمآذن والمحاريب والأروقة والعناصر الانتقالية للقباب من مثلثات كروية ومقرنصات وفراغات داخلية مكشوفة وعناصر مائية واسبلة ونسقيات ثم اتباع الكتابة كعنصر زخرفي في مختلف الابنية وهي رمز من رموز الديانة الاسلامية وهي لغة القرآن الكريم.

* البعد الفكري للمدرسة الاسلامية في العمارة:

اعتمد الفن الاسلامي على الرمزية والتجريد في التعبير ومنها الارابيسك وهي حالة تعبيرية للكون والوجود واستطاع الرقش ان يصور الانسان بشكله ومضمونه بما يمثله من مخلوق صغير إلى عالم ليس له نهاية وبفلسفة صوفية تلاقت مع مبدأ تحريم الصور والتصوير والتشبيه في الاسلام.. ولئن عرفت الحضارات المصرية القديمة تلك الصور كاليونانية والرومانية في استخدام الزخارف الهندسية والنباتية فان المدرسة الاسلامية جعلت من هذه الزخارف مدرسة فنية لها اسلوبها وفلسفتها دعيت بفن الرقش (الارابيسك) وكذلك المقرنصات في العمارة الاسلامية هي عنصر اعتمد على الرقش بأبعاده الفلسفية عدا كونه عنصرا معماريا للربط البصري بين الخط الشاقولي والخط المنحني، وهكذا تجلت الرمزية في العمارة الاسلامية.

(انظر خطاب الاصالة في الفن والعمارة، د. عفيف بهنسي ؟ دمشق ٢٠٠٤م).

# الحرب غير المعلنة على الإسلام

إنّ أسباب الحرب غير المعلنة على الإسلام هو أنّ الله تعالى حتم بأن المستقبل على هذه الأرض لا يكون إلا للإسلام كما جاء في قوله تعالى وفي ثلاث سور من القرآن الكريم سورة التوبة، والصف، والفتح «هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون» ولذلك تبذل كل الدول العظمى وغيرها من الديانات كل جهودها لأجل ألا يتحقق ذلك للمسلمين كما كان من قبل وإلى اليوم، وذلك يتجلى في التدخل المباشر وغير المباشر في مصير الدول العربية والإسلامية ككل.

ومن أهم الأسباب التي تؤدي إلى انتصار الدين الإسلامي على بقية الأديان والحضارات رغم التقدم التقني في كثير من المجالات ومازالت تتحقق إلى اليوم الحاضر أنّ الإسلام قدم للإنسانية ومنذ خمسة عشر قرنا حلا شاملا متكاملا للإنسانية الذي لم تستطع الحضارة الإنسانية إلى اليوم أن تقدمه ويمكن تلخيصه فيما يلي:-

أنّ الإسلام لا ولم يتعارض مع العلوم الطبيعية الثابتة كما هو الحال مع بقية الأديان، فأكد القرآن أنّ مني الرجل هو المسئول عن ذكورة أو أنوثة الجنين، وأنّ الرحم قرار مكين للجنين، وأن الكون في اتساع، وأشار إلى تكوير الأرض، وعن البرزخ بين البحار، والحجر المحجور بين البحار والأنهار، وأنّ الإسلام عمل على المحافظة على البيئة عن طريق العناية بالزرع والدواب ومختلف البهائم والطير وغير ذلك.

وأنه يعمل على تزكية النفس البشرية والترقي بالرقابة الذاتية، وأنّ الإسلام أقر الاستقلالية الشخصية فلا تزر وازرة وزر أخرى، وأنّ الإسلام فتح باب التوبة والمغفرة ليتمكن كل إنسان من تصحيح نهجه في هذه الحياة، وأنّ الإسلام ارتقى بالأخلاق فدعا إلى محاسنها ونهى عن سيئها.

وأنّ الإسلام العظيم ارتقى بالعلاقات الأسرية والأرحام والأقرباء، ووطد العلاقة الأسرية بالميراث، وأباح تعدد الزوجات، وشرع الطلاق، وأنّ الإسلام ارتقى بالعلاقات الاجتماعية فوطد العلاقة بين الغني والفقير بالزكاة والصدقة والكفارات والأضحية، والصلوات اليومية والجُمع والأعياد والحج والصيام، وسن حسن معاملة الخدم والجار والأرملة واليتيم والأطفال واللقطاء والمساكين وابن السبيل والكفار والمشركين والمعاهدين، واعترف بجميع الرسالات، وأنّ الإسلام ارتقى بالشرائع العامة، فشرع إقامة العدل بين جميع الناس والمساواة بينهم من دون تمييز بسبب الدين أو المعتقد، وجاء للمحافظة على الدين والمال والنفس والعقل والنسل، ورفع قدر الإنسان، ونهى عن الظلم والفساد، وبذلك كله عمّ الأمن والأمان في الدول العربية والإسلامية وهذا ما تسعى الدول المعادية للإسلام في إفساده، ولنعلم أنّ الله تعالى بالغ أمره لا محالة في نصر الإسلام ولكن جعل الله تعالى لكل شيء قدرا، أما ماذا ينبغي على كل مسلم فعله اليوم ليساهم ولو بشيء قليل ليتحقق وعد الله تعالى له ولأمته وخاصة في الوقت الراهن الذي لا تملك الأمة حتى ما تدافع به عن نفسها فهو الحل الشامل المتكامل الذي يقدمه الإسلام للحضارة البشرية اليوم كما أشرنا.

فؤاد محمود آل محمود

# متى تصنع لنفسك دورا في الحياة ؟

بقلم: د. محمود السيد داود *

إن من الناس في هذه الحياة من تمر أيامهم وتنقضي أعمارهم، ولا يشعر لهم أحد بأثر، يدخلون إلى الدنيا ويخرجون منها ولم يقدموا لأنفسهم ولا لبلادهم أو لأوطانهم وإخوانهم شيئا، ولم يصنعوا لأنفسهم دورا، وكأنهم كانوا لا وجود لهم، لم يزيدوا في الحياة شيئا وإنما كانوا شيئا زائدا عليها، تتقدم الأعمار ولا يتقدمون، وتمر الأيام ولا يتحركون، مع علمهم بأن الحياة مستمرة لا تتوقف، ولا تلتفت إلى الوراء أبدا، وكل لحظة تنتهي لا يمكن أن تعود مطلقا، لم يفطنوا إلى أن كل شيء في هذا الكون عندما خلقه الله تعالى كان له في الحياة دور يقوم به، لا يتخلف عنه ولا يهمل فيه، وفي ذلك قوله تعالى عن جانب من هذا الكون، عن الشمس والقمر والليل والنهار: «وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ » (يس ٣٨-٤٠).

من هنا وجب على كل إنسان أن يفكر في دوره، وأن يسعى وأن يعمل ليكون له مكان ووجود يناسبه، وأن يتقدم في صناعة هذا الدور في شجاعة وقوة، لا يمنعه خوف أو رهبة، ولا يصرفه تردد أو جبن، لأنه لا طموح للجبناء، ولا هدف للمترددين والخائفين، ولا مكان لمن يقف جامدا من دون مغامرة أو محاولة، وإن تغنى بأمجاد الآباء والأجداد، وما أروع ما قاله أبو القاسم الشابي في قصيدته: إرادة الحياة:

**ومن لم يعانقه شوق الحياة تبخر في جوها، واندثر**
**إذا ما طمحت إلى غاية ركبت المني ونسيت الحذر**
**ولم أتجنب وعور الشعاب ولا كبد اللهب المستعر**
**ومن لا يحب صعود الجبال يعش ابد الدهر بين الحفر**

ويقول أيضا وهو يدفع الإنسان دفعا إلى دوره في الحياة وإن ركب من أجله الخطر، وواجه العقبات، وتحمل المشاق، بل يوجه الإنسان إلى ضرورة ألا يرضى بأي دور في الحياة، لا بد أن يكون الدور مشرفا، لأن الأفق لا يستقبل من الطيور إلا الطيور الحية الشجاعة، كما أن النحل لا يقترب إلا من الوردة الزاهية الجميلة، ولا يسمح لنفسه بالاقتراب من الوردة الذابلة.

**أبارك في الناس أهل الطموح ومن يستلذ ركوب الخطر**
**وألعن من لا يماشي الزمان ويقنع بالعيش عيش الحجر**
**هو الكون حي يحب الحياة ويحتقر الميت مهما كبر**
**فلا الأفق يحضن ميت الطيور ولا النحل يلثم ميت الزهر**

وفي هذا المقام يذهلني الصحابي الجليل نعيم بن مسعود لما جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الأحزاب، هذه الغزوة التي زُلزل فيها المؤمنون زلزالا شديدا، وأصبحوا فيها بين بني قريظة في الداخل والمشركين بعد الخندق في الخارج، وإذا أُتيَ المسلمون من قبل قريظة لم يعد يصلح خط دفاع المسلمين، واضطروا للدخول في معركة مفتوحة ليست متكافئة، وفي هذه الأثناء جاء نعيم بن مسعود مسلما من دون أن يعلم به أحد، وربما كان يظن أن النبي سيسند إليه دورا وسط الصفوف وعلى جبهات القتال، وخاصة أنهم في حاجة ماسة إلى أي جهد من قبل أي مسلم، لكنه فوجئ بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة»، ولم يفسر له رسول الله ما يمكن أن يقوم به، ولم يضع معه خطة لذلك، تركه وما يمكن أن يصنع، وفي هذه الأثناء، قرر نعيم بن مسعود أن يصنع لنفسه دورا، وانتهز أنه كان حسن الصلة بكل القبائل المعادية للمسلمين يوم الأحزاب سواء في ذلك يهود بني قريظة أو قومه (غطفان) أو قريش، فذهب من فوره إلى بني قريظة . وكان عشيراً لهم في الجاهلية . فدخل عليهم وقال: قد عرفتم ودي إياكم، وخاصة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت. قال: فإن قريشاً ليسوا مثلكم، البلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرون أن تتحولوا منه إلى غيره، وإن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره، فإن أصابوا فرصة انتهزوها، وإلا لحقوا ببلادهم وتركوكم ومحمداً فانتقم منكم، قالوا: فما العمل يا نعيم؟ قال: لا تقاتلوا معهم حتى يعطوكم رهائن. قالوا: لقد أشرت بالرأي.

ثم مضى نعيم على وجهه إلى قريش وقال لهم: تعلمون وُدي لكم ونصحي لكم؟ قالوا: نعم، قال: إن يهود قد ندموا على ما كان منهم من نقض عهد محمد وأصحابه، وإنهم قد راسلوه أنهم يأخذون منكم رهائن يدفعونها إليه، ثم يولونه عليكم، فإن سألوكم رهائن فلا تعطوهم، ثم ذهب إلى غطفان، فقال لهم مثل ذلك.

فلما كانت ليلة السبت من شوال . سنة ٥هـ . بعثوا إلى يهود: أنا لسنا بأرض مقام، وقد هلك الكُرَاع والخف، فانهضوا بنا حتى نناجز محمداً، فأرسل إليهم اليهود أن اليوم يوم الس